نبذة عن حياة الشيخ علي بن علي الغرياني

إعداد: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني (حفيد الشيخ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده وحياته العلمية:

الغرض من ذكر سيرة العلماء، ومآثرهم، ومناقبهم، هو التأسي بهم ، والاقتداء بسنتهم، وسمتهم وسلوكهم ، فإن التذكير بسير الماضين، يبعث الهمم في اللاحقين، وإن طالب العلم يجد في تراجم العلماء وسيرهم من الفوائد العلمية، المؤثرة في تكوينه العلمي، وسلوكه وآدابه، ما لا يجده في غيرها من الكتب المتخصصة ، ونرجوا أن تكون في سيرة هذا العالم، الشيخ علي الغرياني، التي سنعرف بعضا منها هذه الليلة ما فيه تذكير ونفع وأسوة للسامعين .

الشيخ رحمه الله هو: علي بن علي بن بوكر بن امحمد بن محمد الغرياني ، ولد بتاجوراء عام 1306 هـــ ، 1888 م .

قرأ القرآن على والده بتاجوراء ، ورافق والده في رحلته إلى الحج عام 1905م ، فمات الوالد رحمة الله تعالى عليه هناك ، ودفن بالبقيع ، وكان عمر الشيخ الابن إذ ذاك سبع عشرة سنة .

وبعد رجوعه انكب الابن على تحصيل العلوم الشرعية واللغوية ، وتلقى ذلك على يد أخيه الأكبر الشيخ محمد ، المعروف بالشيخ الكبير ، الذي كان يعقد حلقات العلم في بيته، ويأتي إليها طلاب العلم في ذلك الوقت من كل مكان ، وقد جلس في حلقاته البيتية هذه عدد من الطلاب كانوا فيما بعد من مشاهير علماء ليبيا ، كالشيخ على الغرياني الذي نتكلم عنه ، والشيخ محمد أبي الأسعاد العالم مفتي ليبيا الأسبق ، وغيرهما .

وكان الشيخ الكبير عطوفا على أخيه ، فكان بينهما إلى أن ماتا من المودة والتقدير، والتعاون المفيد، في التعليم وفي المعيشة، ما يجعل من يراهما يظن أن الشيخ علي ابن للشيخ الكبير ، وليس أخاه ، لذا بعد أن تخرج الشيخ علي من

مدرسة أخيه الخاصة في تاجوراء ، أرسله الشيخ الكبير إلى جامع ميزران بمدينة طرابلس، الذي كان إذ ذاك أشبه بالمعهد العلمي، يعج بحلقات الدروس ، ويتولى التدريس فيها نخبة من خيرة علماء ليبيا، كالشيخ عبد الرحمن البوصيري ، والشيخ الضاوي وغيرهما.

وفي ميزران نوع الشيخ علومه ومعارفه على عدد من هؤلاء الشيوخ ، فأخذ الحديث عن الشيخ عبد الرحمن البوصيري ، وكان قريبا منه، محبا له ، كثير الثناء عليه في مجالسه ، وأخذ الفقه عن الشيخ سلامة القماطي ، كما أخذ عن الشيخ الضاوي ، والشيخ إبراهيم باكير ، والشيخ مختار الشكشوكي، وغيرهم من العلماء، وفي هذه الأثناء تحصل على عدد من الإجازات العلمية ، منها إجازة شيخه الشيخ عبد الرحمن البوصيري في الحديث ، وإجازة من الشيخ محمد حبيب الله مايابي الجكّني الشنقيطي المتوفى عام 1944، صاحب كتاب (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم) وغيره من التآليف النافعة، وذلك عند زيارته إلى طرابلس ، ومروره بجامع ميزران ، وكتب له إجازته هذه بخطه على ظهر الورقة الأولى من ثبَت الأمير ، ونصها:

الحمد لله الذي شرف هذه الأمة باتصال الإسناد ، والصلاة والسلام على نبينا خيرِ العباد وعلى آله وأصحابه نجومِ السنة، وتابعيهم ممن وفقه الله لعمل أهل الجنة.

(أما بعد) فقد أجزت الأستاذ الفاضل الشيخَ علي بن علي الغريان،ي في سائر ما اشتمل عليه هذا الثبَت من الكتب والأسانيد ، واتصالُ إسنادي به مذكور في هذه الصحيفة، وفي غيرها من مؤلفاتي ، وكذا أجزته في سائر مؤلفاتي ومروياتي، وأسانيدي بالجميع مذكورة في أثباتي ، يسر الله إنجاز طبعها بحوله وقوته تعالى.

أملاه بلسانه، وأمضاه ببنانه، خادم نشر العلم بالحرمين الشريفين، محمد حبيب الله الشنقيطيٌ إقليماً المدنيّ مهاجَراً ، في 27 جمادى الأولى سنة 1346 هـ .وهذا التاريخ يوافقه بالإفرنجي عام 1927

عندما تحول الشيخ إلى جامع ميزران، بدأ رحلة عمر طويلة ، مضنيةً وشاقة ،

وهب فيها حياته للعلم والتعليم ، متنقلا بين المساجد وحلقات الدروس، والتذكير والتوجيه ، رحلةً طويلة أخذت ستين سنة من أيام عمره المباركة ، كان شديدا فيها على نفسه من أجل الرسالة الملقاة على عاتقه ، رسالة العلماء، التي وعاها وفهمها من كلام ربه عز وجل ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ ، كان رحمه الله قاسيا على نفسه فيها حقا ، فقد بقي كلَّ هذه السنين الطويلة، يجعل من أيام الأسبوع، يوم الجمعة ونصف يوم الخميس فقط لأهله وأخيه في تاجوراء ، وباقي أيام الأسبوع كلها يقيم في خلوته بجامع ميزران، التي ينطلق منها لأداء رسالته .

كان جدوله اليومي في السنين التي أدركته فيها حافلا من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء، كان إماما راتبا للجماعة بمسجد المغاربة ، يبدأ يومه فيه بصلاة الفجر ، ثم يتوجه إلى درسه المبكر المعتاد بمسجد الشنشان بسوق النجارة قرب جامع الباشا ، وينتهي من هذا الدرس قبيل الساعة الثامنة ، بحيث يتأتى حضورهذا الدرس للموظفين، وأصحاب الأعمال، وأصحاب الدكاكين قبل بدء أعمالهم ، وبعدها يتحول إلى حلقات معهد أحمد باشا لتدريس الطلبة المنتظِمين ، فيبقى معهم في الغالب إلى صلاة الظهر ، بواقع ثلاثة أو أربعة دروس كلِ يوم ، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر يجلس بخلوته لقليل من الراحة ومراجعة وتحضير دروس اليوم التالي ، وبعد صلاة العصر له حلقة، في بعض الأحيان كان يعقدها بجامع حمودة ، وفي أحيان أخرى يأتي إليه نخبة من الطلبة المتقدمين في التحصيل إلى خلوته، يقرؤون عليه بعض شروح خليل في الفقه ، وبعد صلاة المغرب كان يدرس الموطأ، وأحيانا غيره من كتب الحديث أو الفقه بجامع ميزران، وقد استمر درس ميزران هذا ما بين المغرب والعشاء نحوا من أربعين سنة متواصلة ، وهكذا دأبه كل يوم لا يقل ما يعقده من حلقات ودروس عن سبع أو ثمان حلقات كل يوم ، عدا ما وظفه على نفسه من الذكر وتلاوة القرآن، الذي كان لا يمر عليه أسبوع دون أن يختمه ، وعند ختمه كان يجمع أهل بيته من الصغار والكبار والنساء ويدعو ، اقتداء بفعل أنس بن مالك رضي الله عنه في ذلك ، فقد كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

وكان دائما يذكرنا عند ختم القرآن وغيره بقول عثمان الخليفة الراشد رضي الله عنه: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم» ، ويعقب على هذا القول متّهما نفسه بالتقصير بقوله : لكن نحن قلوبنا لم تطهر، فدائما شبعى من كلام ربنا، وقوله هذا من باب: إياك أعني واسمعي يا جارة .

هذا عن عطائه التعليمي في ميزران ، أما عن الجانب الإنساني وإعانة طلبة العلم والوقوف معهم، فكان الشيخ في ميزران على قلة اليد وضيق العيش ملاذ طلاب العلم ، سواء المغتربين منهم والمحليّين ، كانت خلوته في السنين العصيبة العجاف مستقر الطلبة المعدِمين ، ومن لا مأوى لهم ، يشاطرهم لقمة العيش القليلة ويرعاهم، ويشجعهمَ على مواصلة الطلب، وعدم الانقطاع عن العلم، رغم الصعاب وقلة اليد، ويهون عليهم ما هم فيه من سوء الحال المعيشية ، وكلما انتقل عنه منهم جماعة واكتفت بنفسها خلفهتا جماعة أخرى ، حتى إنك لتعجب من كثرة ما تسمع ممن يحدث عن نفسه من الطلبة بقوله: عندما كنا في خلوة الشيخ وحضر العشاء حصل كذا وكذا ، ولهم في ذلك حكايات معه ونوادر، لا يتسع المقام لذكرها .

سيرته ومواقف من حياته:

كانت سيرة الشيخ رحمه الله سيرة السلف الصالح ، كان متقلّلا من الدنيا زاهدا فيها ، ولا نعني بالزهد الزهدَ في الحرام ، أو فيما كان من الشبهات ، فذلك إما فرض عين، أو مطلوب مؤكد من كل مسلم ، ولكن الزهد الذي تميز به الشيخ رحمه الله تعالى هو الزهد في الفضول، وفي كل ما لا يعني ، الذي هو من حسن إسلام المرأ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، كان عنده زهد فيما لا يعني من الكلام، والنظر، والسؤال، والتكلّف ، زهد فيما عند الناس ، وزهد في النفس ، بحيث تهون عليه في مرضاة ربه ، كان رحمه الله قليل الكلام، طويل الصمت، ممن سلم المسلمون من لسانه ويده ، كان أبعد الناس عن التكلف في حياته الخاصة ومع الناس ، حريصا على ما يصلح دينه ودين جليسه ، ويدع ما سوى ذلك ولا يعانه ولا يتكلفه، ومن ترك التكلف سهل عليه الإخلاص،

ومرضاة الله عز وجل ورسولِه ، واتباعُ الحق، ونفعُ الخلق .

كان شيخنا في التربية، وإصلاحِ النفوس، وقبولِ الناس لنصحه، نسيجَ وحده ، كلمته تقع في القلوب موقعها ، وقوله ينطبع في القلب انطباعا ، ومن أجل ذلك ترك الشيخ رحمه الله أثرا متميِّزا على أبناء جيله ، وانتفع به خلق لا يحصون انتفاعا عظيما، على مختلف مستوياهم ، عامةٌ ، وطلبة علم ، وعلماء ، من طلب عنده من العامة تعلم الفرائضِ الأولية في الدين، كالطهارة والأركان وجدها عنده كأحسنِ ما يكون ، واضحةً مفهومة ميسرة ، ومن طلب عنده من أهل العلم، التربية، وإصلاح النفس، والنصائح الغالية ، التي هي كالدرر في السلوك، وجدها عنده كأحسن مايكون .

من تلاميذه الكثيرين الذين اشتهروا، لعلمهم وانتفاع الناس بهم ، الشيخ عمر الجتروري ، والشيخ علي الميلادي ، والشيخ سالم بو بكر ، والشيخ خليل المزوغي ، والشيخ أحمد الخليفي ، والشيخ علي المسلاتي والشيخ محمد أبو لعابة والشيخ عبد السلام خليل، وغيرهم كثير، فقل أن تجد من العلماء المعاصرين على قيد الحياة من لم يتتلمذ عليه .

كان الشيخ علي رحمه الله تعالى مع ملازمته للعبادة، وتلاوة القرآن، وذكر الله صاحب سنة وشرع ، أبعدَ الناس عن الكلام عن التظاهر بالبركة والادعاء، لا تسمع منه مهما جالسته إلا تعليما، وتفقيها، وتبصيرا بمسألة ، ولا يتكلم إلا بما يرجو أن يكون من ورائه عمل ونفع، لا يسمع منه جليسه مهما خالطه أنه يوما رأى كذا في المنام، أو وقع له كذا ، مما يمكن للسامع أن يفهم منه، أو يفسره بأنه كرامةٌ للشيخ ، بل لو أراد أحد الطلبة أن يفتح معه هذا الباب، فإنه يبادر بصده إياه، بعبارته المعهودة (فقيه ومرابط ما يتلاقوش) .

أغلى شيء عند العالم وقتُه ، وكذلك كان الشيخ رحمه الله ، كان لا يفرط في لحظة منه دون أن يكون قد وظف لها من الطاعة ما يناسبها ، لا تراه إلا تاليا للقرآن أو ذاكرا ، أو في الدرس معلّما، أو في مجالسه الخاصة مربّيا ، حتى إنه

لفرط اهتمامه بالوقت كان يعلم تلاميذه عمليا كيف يستفيدون من الأوقات، التي لا يستفيد منها الناس عادة ، كالأوقات الضائعة في المشي في الطرقات لقضاء أعمالهم ، فكان كثيرا ما يقول لأحدهم: هل تعلم يا فلان إن المسافة ما بين جامع ميزران وجامع الباشا تتسع لقراءة كذا وكذا من القرآن ، أو لكذا وكذا من الذكر .

كان رحمه الله تعالى شديدا على أربعة أصناف من الناس:

الصنف الأول:

من يتهاون في تعلم فرائض الأعيان من الطهارة والصلاة وسائر أركان الإسلام، أو يؤخرها عن أوقاتها ، سواء كان من طلبته، أو من أهل بيته، وكان شديدا على الخصوص في تعليم الناس الوضوء والطهارة ، ليس فقط في حلقات الدروس في المساجد ، بل أينما حل وتنقل ، ويرى أن في التهاون في تعلمها تفريطا لا يجبر ، ويقول: صحة الطهارة تتوقف عليها صحة اثنين من أركان الإسلام الصلاة والحج ، فمن لم تصح طهارته لم تصح له صلاة ولا حج ، وكان يحرص في تعليم الوضوء على الإتقان والإسباغ والاقتداء واتباع السنن ،لا مجرد الوضوء كيفما اتفق، لأن ذلك هو الوضوء الذي يرفع الله تعالى به الدرجات، ويمحو الخطايا، ويكون سببا في دخول الجنة، يحرص على ذلك مع اتهام النفس بالتقصير ، وأنها لم تصل فيه إلى الكمال ، حتى إنه ذات مرة كان يدرس باب الوضوء من الرسالة في المعهد ، فقال له أحد الطلبة: إيش الصعوبة في الوضوء ؟ ، ومالمانع ألا يكون وضوءُنا مثلَ وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له: أما أنا فليس وضوئي مثلَ وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما أنت فلا أدري !!.

الصنف الثاني ممن كان شديدا عليهم :

من يتكلم عنده عن آخر غفي غيبته ، فقد كان رحمه الله تعالى هادئا هينا لينا مع جليسه ، حتى إذا ما سمع في المجلس غيبة تغير وتبدل حاله، وغضب أشد الغضب ، ولا يترك المسألة تمر بسلام ، حتى لو كان للمتكلم وجهة في كلامع

على الغير، فإنه رحمه الله كان في هذا الباب محتاطا لا يقبل حتى الغيبة التي تساهل فيها العلماء واستثنوها من الغيبة المحرمة ، كنا ذات مرة في الحج ، فزاره أحد تلاميذه وكان صاحب دكان يبع ويشتري ، وكان التلميذ غاضبا من سوء حال الناس في الحج، وعدم قابليتهم للتعليم والنصح ، وقال للشيخ إن هؤلاء الجنس من الحجاج ــ وسمى البلد الذي ينتمون إليه ــ شداد غلاظ لا يرحمون أحدا في الطواف ، وإذا حاولت تعليمهم أو نصحهم لا يسمعون ، واستمر يتكلم ،يلومهم حتى أنهى كلامه ، فلما انتهى جلس الشيخ وكان متكئا ، وقال لتلميذه الغاضب: أنت عندما نصحتهم هل تملقت لهم، وحاولت أن تتصنع في استمالتهم إليك، وقبول ما عندك، كما تتملق للناس عندما يأتي إليك أحد منهم إلى الدكان ليشتري منك ما تبيع؟، أم أن المسألة تختلف ، في الدكان تتملق وتصانع للدنيا ، وفي النصيحة لله تسب وتشتم .

فصمت التلميذ، وانتفع بالجواب، فقد أوصل إليه الشيخ رسالة لن ينساها ، وهي أن الناصح في الدين، والآمر بالمعروف هو أيضا صاحب بضاعة، إن أراد نفع الناس بها وتوصيلها إليهم ، فعليه أن يهضم من نفسه ويتملقهم كما يتملقهم للدنيا ، إلا أن تملقهم للدنيا مذلة ، وتملقهم للآخرة معزة ، لأن ثمنه الجنة.

الصنف الثالث المدخنون:

كان رحمه الله شديدا على المدخنين ، وكان عند الكلام على التدخين كثيرا ما يتمثل بالأبيات التالية في حكم شارب الدخان:

من شرب الدخان منتن الفم من غير ردة أتي بمأثم
وشارب الدخان بالإثم أحق لأنه أنتنه من غير حق

ويعلق على شطر البيت (من غير ردة أتى بمأثم) بقوله: فيه ردّ على من يقول بردة شارب الدخان ، وكان إذا اشتبه في أن أحدا الجالسين عنده ممن يشرب الدخان كثيرا ما يطرح هذا السؤال: لو قلت لأحد المدخنين أيهما أحب إليك

ابنك أم الدخان؟ ، لأجابك على الفور: ابني أَحبّ إلي ، يقول الشيخ: وهو في ذلك كاذب ، لأنه لو طلب منه ابنه كل يوم دينارا لأعطاه في اليوم الأول والثاني والثالث ، ثم يملّ وينتهره ، ويقول له: أنت يا ولد لا تكفّ عن الطلب ، ولكنه يعطي للدخان كل يوم ولا يملّ ، إذًا فأيهما أحب إليه ؟!.

الصنف الرابع:

المحلقون للحاهم ، كان ينتهر المحلقين شديدا، ، وينعي عليهم تركهم الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمر القرآن باتباعه ، وإذا سأله أحد عن حلق اللحية، يذكره قول الله تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ ويقول له : هل سمعت من أحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ما ذكرته، وكان يرى أن الناس متشبهون بالكفار في هذه البدعة، حتى إنه ذات مرة كان يصحبه في الطريق أحد تلاميذه وكان حليقا ، فقابلهم رجل كث اللحية تدل هيئته على أنه غير مسلم ، فقال للتلميذ لو أتاكم في البلد أعداد من أمثال هذا الكافر الملتحي لقلدتموهم وأعفيتم لحاكم .

من أعمال الشيخ الجهادية أنه اشترك في معركة الهاني الشهيرة في أكتوبر عام 1911 م، وحضر مؤتمر غريان للمصالحة الوطنية وتوحيد صفوف المجاهدين عام 1920.

توفي الشيخ رحمه الله تعالى في شهر أبريل من عام 1975 م بعد مرض لازمه سنة ونصفا تقريبا، ودفن بتاجوراء ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين خير الجزاء .

وصلى الله علي سيدنا محمدا وعلى آله وصحبه وسلم .

الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

تاجوراء ، 5 رمضان 1419 هـ

23 – ديسمبر 1998